|  |
| --- |
|  |

|  |  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- | --- |
|

|  |
| --- |
|  |
| حال السلف مع القرآن في رمضـان |
|  |
| إعداد / د : أحمد عرفةمعيد بجامعة الأزهر |
| بسم الله الرحمن الرحيمإن الحمد لله تعالى، نحمده ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهد الله تعالى فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وبعد: أيها الأخوة الأحباب : شرف الله عز وجل شهر رمضان المبارك بنزول القرآن الكريم فيه على النبي صلى الله عليه وسلم ، فما أحوجنا إلى أن نعود إلى القرآن فى شهر رمضان ، فلا عز لنا ولا كرامة ولا رفعة فى الدنيا والآخرة إلا من خلال التمسك بالقرآن الكريم حفظاً وفهماً وتدبراً وعملاً كى نسعد في الدنيا والآخرة ، ونسود العالم بأسره كما كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح رضي الله عنهم تحققت لهم السيادة والعزة والكرامة عندما أخذوا القرآن الكريم منهج حياة ، من هذا المنطلق أكتب هذه المقالة المتواضعة حول السلف الصالح رضي الله عنهم مع القرآن الكريم في رمضان رمضـان شهر القرآن:قال الله تعالى:(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ )([1]) .والقرآن: هو كتاب هذه الأمة الخالد ، الذي أخرجها من الظلمات إلى النور ، فأنشأها هذه النشأة ، وبدلها من خوفها أمناً ، ومكن لها في الأرض ، ووهبها مقوماتها التي صارت بها أمة ، ولم تكن من قبل شيئاً .وهي بدون هذه المقومات ليست أمة وليس لها مكان في الأرض ولا ذكر في السماء، فلا أقل من شكر الله على نعمة هذا القرآن بالاستجابة إلى صوم الشهر الذي نزل فيه القرآن([2]). قال الإمام ابن كثير رحمه الله :يمدح تعالى شهر الصيام من بين سائر الشهور بأن اختاره من بينهن لإنزال القرآن العظيم، وكما اختصه بذلك قد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء([3]).وأخرج الإمام أحمد فى مسنده عن واثلة بن الأسقع أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال « أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام فى أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان »([4]).وعن ابن عباس ، قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة "([5])0 قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله:وفي حديث ابن عباس أن المدارسة بينه وبين جبريل كان ليلا يدل على استحباب الإكثار من التلاوة في رمضان ليلا، فإن الليل تنقطع فيه الشواغل، وتجتمع فيه الهمم، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر كما قال تعالى: (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءًا وَأَقْوَمُ قِيلاً) ([6]) وشهر رمضان له خصوصية بالقرآن كما قال تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ)([7]) وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنه أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في ليلة القدر، ويشهد لذلك قوله تعالى: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) ([8])، وقوله: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ)([9])([10])0 انظر إلى حال النبي صلى الله عليه وسلم مع القرآن الكريم في رمضان : وقد كان النبي  صلى الله عليه وسلم  يطيل القراءة في قيام رمضان بالليل أكثر من غيره، وقد صلى معه حذيفة ليلة في رمضان قال: فقرأ بالبقرة ثم النساء ثم آل عمران لا يمر بآية تخويف إلا وقف وسأل، فما صلى الركعتين حتى جاءه بلال فآذنه بالصلاة) ([11])0  وقد روي عن أبي ذر أن النبي  صلى الله عليه وسلم  قام بهم ليلة ثلاث وعشرين إلى ثلث الليل، وليلة خمس وعشرين إلى نصف الليل، فقالوا له: لو نفلتنا بقية ليلتنا؟ فقال: (إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف كتب له بقية ليلته)([12])0وهذا يدل على أن قيام ثلث الليل ونصفه يكتب به قيام ليلة لكن مع الإمام. وكان الإمام أحمد يأخذ بهذا الحديث ويصلي مع الإمام حتى ينصرف، ولا ينصرف حتى ينصرف الإمام. وقال بعض السلف: من قام نصف الليل فقد قام الليل([13])0وعن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي  صلى الله عليه وسلم  قال: (من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين) ([14]). حال السلف مع القرآن في رمضان: وانظر كيف كان حال السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم مع القرآن الكريم إذا دخل رمضان : كان قتادة رضي الله عنه : يدرس القرآن في شهر رمضان.وكان الزهري إذا دخل رمضان قال: فإنما هو تلاوة القرآن، وإطعام الطعام.  وقال ابن عبد الحكم: كان مالك إذا دخل رمضان يفرّ من قراءة الحديث، ومجالسة أهل العلم، وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف. وقال عبد الرزاق: كان سفيان الثوري: إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن. وكانت عائشة رضي الله عنها تقرأ في المصحف أول النهار في شهر رمضان، فإذا طلعت الشمس نامت. وقال سفيان: كان زبيد اليامي إذا حضر رمضان أحضر المصاحف وجمع إليه أصحابه([15]). علو الهمة عند السلف فى تلاوة القرآن وختمه أكثر من مرة  بصور عجيبه: قال الإمام ابن رجب رحمه الله :وكان السلف يتلون القرآن في شهر رمضان في الصلاة وغيرها0 كان الأسود بن يزيد : يقرأ في كل ليلتين في رمضان.  وكان إبراهيم النخعي: يفعل ذلك في العشر الأواخر منه خاصة وفي بقية الشهر في ثلاث0 وكان قتادة: يختم في كل سبع دائما، وفي رمضان في كل ثلاث، وفي العشر الأواخر كل ليلة. وكان للشافعي في رمضان ستون ختمة يقرؤها في غير الصلاة. وعن أبي حنيفة نحوه([16]). ثم قال الإمام ابن رجب رحمه الله بعد ذكر هذه الآثار:وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان خصوصا الليالي التي يطلب فيها ليلة القدر أوفي الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتناما للزمان والمكان. وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وعليه يدل عمل غيرهم كما سبق ذكره([17]). وعن محمد بن مسعر قال: كان أبي لا ينام حتى يقرأ نصف القرآن. وعن ابن وهب: قيل لأخت مالك: ما كان شغل مالك في بيته؟ قالت: المصحف، والتلاوة. وقال عمرو بن علي: كان يحيى بن سعيد القطان يختم القرآن كل يوم وليلة يدعو لألف إنسان، ثم يخرج بعد العصر فيحدث الناس. وقال البغوي: أخبرت عن جدي أحمد بن منيع رحمه الله أنه قال: أنا من نحو أربعين سنة أختم في كل ثلاث. وعن مسبح بن سعيد قال: كان محمد بن إسماعيل يختم في رمضان في النهار كل يوم ختمة، ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليالٍ بختمة. وقال سليمان بن يسار رحمه الله: قام عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد العشاء فقرأ القرآن كله في ركعة لم يصل قبلها ولا بعدها. وعن ابن سيرين: أن تميماً الداري كان يقرأ القرآن في ركعة. وعن الحارث بن يزيد: أن سليم بن عتر كان يقرأ القرآن في كل ليلة ثلاث مرات. وقال ابن شوذب: كان عروة يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف نظراً، ويقوم به الليل. الإمام حمزة بن حبيب الزيات، القيم بكتاب الله، العابد الخاشع، القانت لله يقول: نظرت في المصحف حتى خشيت أن يذهب بصري. قال يحيى اليماني: لما حضرت الوفاة أبا بكر بن عياش بكت أخته، فقال لها: ما يبكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية، فقد ختم أخوك فيها ثمانية عشر ألف ختمة([18]). وثابت البناني قال عنه شعبة: كان ثابت يقرأ القرآن في يوم وليلة، ويصوم الدهر. وقال أسد بن الفرات: كان ابن القاسم يختم كل يوم وليلة ختمتين قال: فنزل بي حين جئت إليه عن ختمة، رغبة في إحياء العلم. الإمام أبو حنيفة رحمه الله: كان يختم القرآن في كل يوم وليلة مرة، وفي رمضان في كل يوم مرتين، مرة في النهار ومرة في الليل. أبو العباس بن عطاء: له في كل يوم ختمة، وفي شهر رمضان كل يوم وليلة ثلاث ختمات. الحافظ بن عساكر: كان يختم كل جمعة، ويختم في رمضان كل يوم.وكان كثير النوافل والأذكار، ويحاسب نفسه على كل لحظة تذهب في غير طاعة. الإمام البخاري رحمه الله: كان يختم في رمضان في النهار كل يوم ختمة، ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليال بختمة. أما إمام أهل السنة أحمد بن حنبل فقد قال عنه جعفر ابن أب هاشم: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ختمت القرآن في يوم، فعددت موضع الصبر، فإذا هو نيف وتسعون. وقال الإمام علي بن المديني شيخ البخاري: حفر شبر الحافي قبره، وختم فيه القرآن وكان ورده ثلث القرآن. شيخ الإسلام الحافظ الناقد أبو بكر بن محمد بن محمد تقي الدين البلاطنسي: كان يختم في رمضان في كل ليلة ختمتين، وأكب في آخر عمره على التلاوة فكان لا يأتيه الطلبة لقراءة الدرس إلا وجدوه يقرأ القرآن. والشيخ الفاضل محمد بن علاء شمس الدين البابلي القاهري الشافعي: كان كثير العبادة يواظب على قراءة القرآن سراً وجهراً، وكان راتبه في كل يوم وليلة نصف القرآن ويختم يوم الجمعة ختمة كاملة، وكان كثير البكاء عند قراءة القرآن. محمد بن محمد بن عبد الرحمن التميمي أبو عبد الله الحلفاوي التونسي نزيل غرناطة يعرف بابن المؤذن: كان صاحب مقامات وكرامات، حسن الصلاة جداً، وكان يختم في رمضان مائة ختمة([19]). وعقد الإمام النووي رحمه الله فى كتابه القيم: (التبيان فى آداب حملة القرآن) فصلاً فى موقف السلف مع القرآن الكريم جاء فيه :ينبغي أن يحافظ على تلاوته ويكثر منها وكان السلف رضي الله عنهم لهم عادات مختلفة في قدر ما يختمون فيه فروى ابن أبي داود عن بعض السلف رضي الله عنهم أنهم كانوا يختمون في كل شهرين ختمة واحدة وعن بعضهم في كل شهر ختمة ، وعن بعضهم في كل عشر ليال ختمة ، وعن بعضهم في كل ثمان ليال وعن الأكثرين في كل سبع ليال ، وعن بعضهم في كل ست ، وعن بعضهم في كل خمس ، وعن بعضهم في كل أربع ،وعن كثيرين في كل ثلاث ،وعن بعضهم في كل ليلتين ، وختم بعضهم في كل يوم وليلة ختمة ، ومنهم من كان يختم في كل يوم وليلة ختمتين ، ومنهم من كان يختم ثلاثاً وختم بعضهم ثمان ختمات أربعا بالليل وأربعا بالنهار0 فمن الذين كانوا يختمون ختمة في الليل واليوم: عثمان بن عفان رضي الله عنه وتميم الداري وسعيد بن جبير ومجاهد والشافعي وآخرون0 ومن الذين كانوا يختمون ثلاث ختمات: سليم بن عمر رضي الله عنه قاضي مصر في خلافة معاوية رضي الله عنه0 وروى أبو بكر بن أبي داود أنه كان يختم في الليلة أربع ختمات0 وروى أبو عمر الكندي في كتابه في قضاة مصر أنه كان يختم في الليلة أربع ختمات0 وانظر إلى هذا الخبر العجيب بعضهم ختم ثمانى مرات فى اليوم والليلةقال الشيخ الصالح أبو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه: سمعت الشيخ أبا عثمان المغربي يقول :كان ابن الكاتب رضي الله عنه يختم بالنهار أربع ختمات وبالليل أربع ختمات وهذا أكثر ما بلغنا من اليوم والليلة0  وروى السيد الجليل أحمد الدورقي بإسناده عن منصور بن زادان من عباد التابعين رضي الله عنه أنه كان يختم القرآن فيما بين الظهر والعصر ويختمه أيضا فيما بين المغرب والعشاء في رمضان إلى أن يمضي ربع الليل. وروى أبو داود بإسناده الصحيح أن مجاهداً كان يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء0 وعن منصور قال: كان علي الأزدي يختم فيما بين المغرب والعشاء كل ليلة من رمضان0  وعن إبراهيم بن سعد قال: كان أبي يحتبي فما يحل حبوته حتى يختم القرآن .ثم يقول الإمام النووي رحمه الله : وأما الذي يختم في ركعة فلا يحصون لكثرتهم فمن المتقدمين عثمان بن عفان وتميم الداري وسعيد بن جبير رضي الله عنهم ختمة في كل ركعة في الكعبة0 وأما الذين ختموا في الأسبوع مرة: فكثيرون نقل عن عثمان بن عفان رضي الله عنه وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وأبي بن كعب رضي الله عنهم وعن جماعة من التابعين كعبد الرحمن بن يزيد وعلقمة وإبراهيم رحمهم الله0 ثم يقول الإمام النووي رحمه الله بعد ذكر هذه الآثار :والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر ما يحصل له كمال فهم ما يقرؤه وكذا من كان مشغولا بنشر العلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل والهذرمة ([20])0 قال كعب: ينادي يوم القيامة مناد بأن كل حارث يعطى بحرثه، ويزاد غير أهل القرآن والصيام يعطون أجورهم بغير حساب، ويشفعان له أيضا عند الله عز وجل، كما في المسند عن عبد الله بن عمرو عن النبي  صلى الله عليه وسلم  قال: (الصيام والقيام يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشراب بالنهار، ويقول بالقرآن: منعته النوم بالنهار فشفعني فيه فيشفعان) ([21])0 قال الإمام ابن رجب رحمه الله: فالصيام يشفع لمن منعه الطعام والشهوات المحرمة كلها سواء كان تحريمها يختص بالصيام كشهوة الطعام والشراب والنكاح ومقدماتها أو لا يختص به كشهوة فضول الكلام المحرم، والنظر المحرم والسماع المحرم والكسب المحرم، فإذا منعه الصيام من هذه المحرمات كلها فإنه يشفع له عند الله يوم القيامة، ويقول: يا رب منعته شهواته فشفعني فيه، فهذا لمن حفظ صيامه ومنعه من شهواته، فأما من ضيّع صيامه ولم يمنعه مما حرمه الله عليه فإنه جدير أن يضرب به وجه صاحبه، ويقول له: ضيّعك الله كما ضيّعتني، كما ورد مثل ذلك في الصلاة0 وقال بعض السلف: إذا احتضر المؤمن يقال للملك: شمّ رأسه. قال: أجد في رأسه القرآن، فيقال شمّ قلبه. فيقول: أجد في قلبه الصيام. فيقال: شمّ قدميه فيقول: أجد في قدميه القيام. فيقال: حفظ نفسه حفظه الله عز وجل. وكذلك القرآن إنما يشفع لمن منعه من النوم بالليل([22])0 وقال ابن مسعود رضى الله عنه: ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، ونهاره إذا الناس يفطرون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبورعه إذا الناس يخلطون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وبحزنه إذا الناس يفرحون. وقال محمد بن كعب: كنا نعرف قارئ القرآن بصفرة لونه يشير إلى سهره وطول تهجده. وقال وهيب بن الورد: قيل لرجل ألا تنام؟ قال: إن عجائب القرآن أطرن نومي. وقال أحمد بن الحواري: إني لأقرأ القرآن وانظر في آية فيحير عقلي بها،وأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم، ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام الله، أما إنهم لو فهموا ما يتلون، وعرفوا حقه وتلذذوا به واستحلوا المناجاة به لذهب عنهم النوم فرحاً بما رزقوا.وأنشد ذو النون المصريّ:منع القرآن بوعده ووعيده ... مقل العيون بليلها لا تهجعفهموا عن الملك الكريم كلامه ... فهماً تذل له الرقاب وتخضع([23]). يا إخوتاه:"هذا عباد الله شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، وفي بقيته للعابدين مستمتع وهذا كتاب الله يتلى فيه بين أظهركم ويُسمع، وهو القرآن الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعاً يتصدع، ومع هذا فلا قلب يخشع، ولا عين تدمع، ولا صيام يصان عن الحرام فينفع، ولا قيام استقام فيرجى في صاحبه أن يشفع، وتراكمت عليها ظلمة الذنوب فهي لا تبصر ولا تسمع، كم تتلى علينا آيات القرآن وقلوبنا كالحجارة أو أشد قسوة، وكم يتوالى علينا شهر رمضان وحالنا فيه كحال أهل الشقوة، لا الشاب منا ينتهي عن الصبوة، ولا الشيخ ينزجر عن القبيح فيلتحق بالصفوة، أين نحن من قوم إذا سمعوا داعي الله أجابوا الدعوة وإذا تليت عليهم آيات الله جلت قلوبهم جلوة، وإذا صاموا صامت منهم الألسنة والأسماع والأبصار، أفمالنا فيهم أسوة؟ ما بيننا وبين حال الصفا أبعد مما بين الصفا والمروة، كلما حسنت منا الأقوال ساءت الأعمال .يا نفس فاز الصالحون بالتقى ... وأبصروا الحق وقلبي قد عمييا حسنهم والليل قد جنهم ... ونورهم يفوق نورالأنجمترنموا بالذكر في ليلهم ... فعيشهم قد طاب بالترنمقلوبهم للذكر قد تفرغت ... دموعهم كلؤلؤ منتظمأسحارهم بهم لهم قد أشرقت ... وخلع الغفران خير القسمويحك يا نفس ألا تيقظ ... ينفع قبل أن تزل قدميمضى الزمان في ثوان وهوى ... فاستدركي ما قد بقى واغتنمي([24]).فما أحوجنا أيها الأخوة الأحباب لاغتنام هذا الشهر الكريم فى القرآن الكريم قراءة وحفظاً وفهماً وتدبراً وعملاً حتى نسعد فى الدنيا والآخرة وفقنا الله تعالى وإياكم لما يحبه ويرضاه وتقبل منا ومنكم صالح الأعمال إنه ولى ذلك والقادر عليه0 والله من وراء القصدوهو حسبنا ونعم الوكيلللتواصل مع الكاتب/ ------------------------------------([1])سورة البقرة : الآية : 185 0([2])فى ظلال القرآن : جـ1صـ145 0([3])تفسير ابن كثير : جـ1صـ268 0([4]) أخرجه  أحمد فى مسنده حديث:‏16678‏ وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع حديث رقم 1497 0([5])أخرجه  البخاري فى صحيحه  - كتاب الصوم-  باب : أجود ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يكون - حديث: (‏ 1812‏)0([6])سورة المزمل : الآية : 6 0([7])سورة البقرة : الآية : 185 0([8])سورة القدر : الآية : 1 0([9])سورة الدخان : الآية : 3 0([10])لطائف المعارف : صـ243 0([11])أخرجه مسلم فى صحيحه – كتاب الصلاة – باب : استحباب تطويل القراءة فى صلاة الليل حديث: 1783 0([12])أخرجه أبو داود فى سننه - كتاب الصلاة - باب تفريع أبواب شهر رمضان -  باب في قيام شهر رمضان - حديث:‏1180‏وصححه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود حديث : 1375 0([13])لطائف المعارف : صـ 245 0([14])أخرجه أبو داود فى سننه - كتاب الصلاة-  أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيله -  باب تحزيب القرآن - حديث:‏1203‏ ‏وصححه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود حديث : 1398 0([15])لطائف المعارف : صـ246 0([16])المرجع السابق : نفس الموضع 0([17])المرجع السابق : نفس الموضع 0([18])ترطيب الأفواه بذكر من يظلهم الله: للدكتور سيد حسين العفانى جـ2صـ121-126 0([19])ترطيب الأفواه بذكر من يظلهم الله: للدكتور سيد حسين العفانى جـ2صـ130- 134 0([20]) التبيان فى آداب حملة القرآن : صـ59- صـ63 طبعة دار ابن حزم تحقيق وتعليق: محمد الحجار – بتصرف يسير0.([21])أخرجه الحاكم فى المستدرك – كتاب فضائل القرآن – أخبار فى فضائل القرآن جملة حديث رقم (1979) ، وأخرجه أحمد فى المسند حديث رقم (6454) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع حديث رقم (3882) ، وصحيح الترغيب والترهيب حديث رقم (1429)0([22])لطائف المعارف : صـ246 وما بعدها0([23]) لطائف المعارف : صـ248 0([24])المرجع السابق : صـ249 0  |

 |

نماذج من حال السلف والتابعين مع القرآن منذ 2014-08-29 هذا نموذج لسلفنا الصالح رحمهم الله تعالى وحياتهم بالقرآن، ومع القرآن، فإن هذه المسألة -أعني أهمية عودة الأمة إلى كتابها الكريم لتحيا به- ليست مسألة سهلة، وإنما هي مسألة حياة أو موت، حياة في ظل هذا القرآن علماً وعملاً، أو موت بالإعراض عنه واتخاذه مهجوراً. هذا نموذج لسلفنا الصالح رحمهم الله تعالى وحياتهم بالقرآن، ومع القرآن، فإن هذه المسألة -أعني أهمية عودة الأمة إلى كتابها الكريم لتحيا به- ليست مسألة سهلة، وإنما هي مسألة حياة أو موت، حياة في ظل هذا القرآن علماً وعملاً، أو موت  بالإعراض عنه واتخاذه مهجوراً. هذا أحد أعلام التابعين، كان مشركاً كافراً من بلادِ فارس، ثم وقع أسيراً في إحدى معارك الإسلام زمن الصحابة رضي الله عنهم فأسلم وتعلق قلبه بالقرآن، يقول -مفصلاً قصته الطويلة العجيبة-: "وقعت أنا ونفر من قومي أسارى في أيدي المجاهدين، ثم ما لبثنا أن غدونا مملُوكين لطائفةٍ من المسلمين في البصرة، فلم يمض علينا وقت طويل حتى آمنا بالله وتعلقنا بحفظ كتاب الله". وهكذا كان سلفنا من الصحابة ومن بعدهم، كانت بيوتهم عامرة بالإسلام والقرآن، وكان كل من عاش معهم تأثر بهم وبأخلاقهم ومعاملاتهم، وحياتهم الطيبة المعمورة بالقرآن الكريم، وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، فكانوا دعاة إلى الله تعالى بأقوالهم وأفعالهم، ولذلك كان كثير من المشركين وأهل الذمة لا يمضي عليهم وقت حتى يدخلوا في الإسلام. يقول هذا التابعي- بعد أن ذكر إسلامه وتعلقه بالقرآن، وهو عبد مملوك: "وكان منَّا من يؤدي الضرائب لمالكيه، ومنَّا من يقوم على خدمتهم، وكنت واحداً من هؤلاء، فكنا نختم القرآن كل ليلة مرة، فشق ذلك علينا، فجعلنا نختمهُ مرة كل ليلتين، فشق ذلك علينا، فجلعنا نختمه كل ثلاث، فشق علينا لما كنَّا نعانيه من جهدٍ في النهار وسهرٍ في الليل، فلقينا بعض أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، وشكونا لهم ما نكابده من السهر وقراءة كتاب الله، مع قيامنا بخدمة موالينا، فقالوا لنا: اختموه كل جمعة مرة، فأخذنا بما أرشدونا إليه، فجعلنا نقرأ القرآن طرفاً من الليل وننام طرفاً، فلم يشق ذلك علينا". وآل أمرهُ إلى امرأة من بني تميم، وكانت سيدة فاضلة مؤمنة، فكانت لا تشقُ عليه في الخدمة، حيث كان يخدمها بعض النهار ويرتاح في بعضه الآخر، فتعلم -مع حفظ القرآن- القراءة والكتابة، وطلب العلم، وعلى رأسه بعد القرآن- حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما ذهب في أحد أيام الجمع لصلاة الجمعة، خرجت معه وقالت أمام الناس: "اشهدوا يا معشر المسلمين، أني أعتقت غلامي هذا رغبة في ثواب الله، وطمعاً بعفوه، وليس لأحد عليه من سبيل إلا سبيل المعروف"، ثم نظرت إليه وقالت: "اللهم إني أدخرهُ عندك ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون". فمن هو هذا الإمام الذي قال عن نفسه: "تعلمتُ الكتابة والقرآن فما شعر بي أهلي، ولا ررئيَّ في ثوبي مداد قط؟" إنه أبو العالية، رفيع بن مهران، الإمام المقرئ الحافظ، المفسر الرياحي البصري، أحد أعلام التابعين، أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، ودخل عليه، وسمع من عدد من الصحابة منهم عمر، وعلي، وأبي ، وأبو ذر، وابن مسعود، وابن عباس، وغيرهم كثير، وقرأ القرآن على أبي بن كعب وابن عباس، بل وعلى عمر بن الخطاب، فقد روي عنه أنه قال: "قرأت القرآن على عمررضي الله عنه ثلاث مرات"، ومع حفظ القرآن وقراءته كان علماً من أعلام الحديث. ولقد رفعه الله بالقرآن، وبالعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد دخل مرةً على ابن عباس رضي الله عنهما وهو أمير البصرة لعلي رضي الله عنه فرحب به ورفع منزلتهُ، وأجلسه على سريره عن يمينه، وكان في المجلس طائفة من سادة قريش، فتغامزوا به وتهامسوا بينهم، وقال بعضهم لبعض: "أرأيتم كيف رفع ابن عباس هذا العبد على سريره؟" فأدرك ابن عباس ما يتغامزون به، فالتفت إليهم وقال: "إنَّ العلم يزيدُ الشريف شرفاً، ويرفع قدر أهله بين الناس، ويجلس المماليك على الأسرة"، وقد رفع الله أبا العالية بالقرآن حتى قال أبو بكر بن أبي داود: "ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية وسعيد بن جبير". وتعالوا نقف مع بعض وصايا أبي العالية وأحواله مع القرآن: 1- كان يعلم أصحابه كيف يتعلمون القرآن، فقد روى عنه أبو نعيم أنه كان يقول: "تعلموا القرآن خمس آيات، فإنه أحفظ لكم، وإن جبريل كان ينزل به خمس آيات خمس آيات"، وهذا منهج تعليمي تربوي. 2- وكان مهتماً بالصلاة وإقامتها لأنها عمود الإسلام، فكان يزن الناس بها، فقد روى عنه أن قال: "كنت أرحل إلى الرجل مسيرة أيام لأسمع منه، فأتفقد صلاته، فإن وجدتهُ يحسنها أقمت عليه، وسمعت الحديث منه والعلم، وإن أجدهُ يضيعها، رحلت ولم أسمع منه"، وقلت: "هو لما سواها أضيع". وإنَّ الصلاة لميزان صحيح ودقيق للرجال، وكم من رجلٍ يقال ما أعقله وما أذكاه وغيرها من صفات المدح، ثم تفتش عنه، فتجده لا يعرف المساجد. 3- ولقد أوصى بلزوم القرآن وتعاهده، ونهى في مقابل ذلك عن الأهواء والبدع. روي عنه أنه قال: "تعلموا القرآن، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وإيَّاكم وهذه الأهواء، فإنَّها توقع العداوة والبغضاء بينكم، ولا تحيدوا عن الأمر الذي كان عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم"، ولما نقل هذا للحسن البصري، قال: "لقد نصحكم أبو العالية والله وصدقكم". 4- وكان يعلم أصحابه حقائق القرآن في جوانب الحياة وسعادتها، فقد رُوي عنه أنَّهُ قال: "إنَّ الله تعالى قضى على نفسه أن من آمن به هداه"، وتصديق ذلك في كتاب الله: {وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [التغابن من الآية:11]. وأن من توكل عليه كفاه، وتصديق ذلك في كتاب الله: {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق:3]. وأن من أقرضهُ جازاه، وتصديق ذلك في كتاب الله: {مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [البقرة من الآية:245]. وأن من استجار من عذابه أجاره، وتصديق ذلك في كتاب الله: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ} [آل عمران من الآية:103]. وأن من دعاه أجابه، وتصديق ذلك في كتاب الله: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة من الآية:186]. 5- وكان إماماً مجاهداً، حارب الروم في بلاد الشام، كما حارب الفرس في بلاد ما وراءِ النهر، وكان أوَّل من رفع الأذان في تلك الديار -بعد فتحها-. ولما أراد في إحدى السنين المسير للجهاد في سبيل الله، وأعدَّ عُدته للجهاد، إذا به يجد آلاماً شديدة في رجله، ولم يزل الألم يشتدُّ، فجاءهُ الطبيب وقال له: "إنهُ مصابٌ بالآكلة"، قال: "وما الآكلة؟" قال: "داءٌ يأكل العضو الذي يحل به، ثم ينتقل إلى ما فوقه حتى يأتي على الجسد كله". وأخبره الطبيب أنه لا بدَّ من بتر ساقه فأذن له وهو كارهٌ لذلك. ولما أحضر الطبيب مناشيرهُ لنشر العظم، وما يتبع ذلك، قال له: "أتريد أن نسقيك جرعة مخدر لكيلا تشعر بالألم -وهو شديد-؟ فقال أبو العالية رحمه الله: "بل هناك ما هو خير من ذلك"، ثم قال: "احضروا لي قارئاً يتقن كتاب الله، واجعلوه يقرأ عليَّ ما تيسر من آياته البينات، فإذا رأيتموني قد احمر وجهي، واتسعت حدقتاي، وثبت نظري في السماء، فافعلوا بي ما شئتم"، فنفذوا أمره، وبتروا ساقه، فلما أفاق قال له الطبيب: "كأنَّك لم تشعر بآلام الشق والبتر؟" فقال: "لقد شغلني برد حب الله وحلاوة ما سمعتهُ من كتاب الله عن حرارة المناشير". ثم أخذ رجله بيده، ونظر إليها وقال: "إذا لقيتُ ربي يوم القيامة وسألني: هل مشيتُ بك منذ أربعين سنة إلى محرم، أو مسستُ بك غير مباح لأقولن: لا ولأنا صادقٌ فيما أقول إن شاء الله". هذه نماذج لأحوال الصالحين، وهي أحوال وتاريخ أمة الإسلام، فيها عبرٌ وعظات لمن أراد أن يتذكر. والتذكير بأيام الله أمر الله به رسله، قال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} [إبراهيم:5]. وقد فسرت أيام الله بنعمه، كما فسرت بنقمه من أهل الكفر والمعاصي، فالأولُ تفسير ابن عباس ومجاهد، والثاني تفسير مقاتل. والصواب: أنَّ أيامه تعم النوعين، وهي وقائعه التي أوقعها بأعدائه، ونعمه التي ساقها إلى أوليائه، وفي هذه الأيام كثرت الزلازل في بعض بلاد المسلمين، فمن الذي خلقها وقدرها؟ وهل فيها آيات للمسلمين؟  المصدر: موقع الشيخ عبد الرحمن بن صالح المحمود